اسباب السجن ودوافعه في عصر الملوك الطوائف
(٤٢٢-٤٨٤هـ/ ١٠٣٠-١٠٩١ م)

بحث تقدم به

م.م. حسام محمد بلبول

المقدمة : -

السجون من المؤسسات الادارية المهمة في نظام الدولة ، فالدولة تسعى من خلال هذه المؤسسة الى ردع الجناة للحيلولة دون الاساءة للمجتمع ، وتحقيق الهدوء والاستقرار الداخلي ، ان مهمة هذه المؤسسة قد تتغير بتغير الانظمة السياسية ، فتتحول من مؤسسسة اصلاح وتأديب الى مؤسسة تعذيب وتنكيل ، وقد استخدمها بعض اولي الامر أداة لقمع كل من يعارض سياسة الدولة من بعيد او من قريب ، فقد يسجن الى جانب المجرم الوزير والوالي والقاضي واصحاب المكانة والشرف .

ونتيجة للصراعات السياسية والاجتماعية في عهد ملوك الطوائف ازدادت الخصوم ، وتعددت المشاكل بين تلك الدول المتنازعة والمتنافسة في ما بينها ، فوضعت السجون وازدادت اهميتها ، وخصص الحرس لحراسة المسجونين .

ان اهمية موضوع البحث تتحد من الناحيتين السياسية والاجتماعية ، فهي تصف السجن وتحدد مواقع اهم السجون في الاندلس في فترة البحث ، كما تبين اسباب اصدار امر السجن على الاشخاص ودوافعها .

الأوضاع السياسية والأجتماعية في عصر الطوائف:

كان سقوط الخلافة الأموية (٤٢٢هـ/١٠٣١م)العامل الأساسي الذي أدى الى أنفراط عقد الوحدة الأندلسية وأستقلال كل أميؤر بأمارته ومقاطعته ومدينته وأعلان نسه ملكا أو سلطانا عليها[١].

وقد بلغت الأسر الحاكمة في اقليم الأندلس الذي كان موحدا،الى أكثر من عشرين أسرة في مدن ومقاطعات مستقلة،وسمى هؤلاء بملوك الطوائف ،وقد أدت هذه الفرقة الى ضعف الأندلس والى المزيد من الصراعات السياسية والأجتماعية بين هذه الطوائف[٢]

لقد أستمر عصر الطوائف مايقارب ثمانين عاما،وقد أنتهى بانضواء الأندلس تحت جناح دولة المرابطين ،وكان عصر تفكك وأنحلال سياسي وأجتماعي،حيث أتسم هذا العصر بكثرت الجحروب بين هؤلاء الملوك،فكل منهم يود ان يتسع ملكه ويمد سلطانه على حساب جيرانه من الملوك،سواء بالقوة أو بالحيل السياسية[٣]،فبدلا من أن تتحد قواهم ليواجهوا عدولا مشتركا،تشتتوا وتقاتلو حتى ضعفت قواهم ،فلم يستطيعوا أن يصمدوا أمام هجمات الأسبان الذين أستطاعوا أن يهزموهم حتى اجبروهم الى دفع الجزية[٤]،مما أدى بهم الى الأستعانة بملوك الأسبان وتحفيزهم على العمل المستمر من أجل أنتزاع أراضي الأندلس بالتدريج بعد أضعاف ملوكها[٥].

---

١ -الحميدي:ابو عبد الله بن محمد (٤٨٨هـ/١٠٩٥م)،جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس،تحقيق:أبراهيم الأبياري ،(القاهرة/١٩٧٥)،ص٢٠؛ابن عذارى:ابو عبد الله محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م)البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج٣،ص١٤٥.

٢ - لين بول:ستانلي،قصة العرب في أسبانية ،ترجمة:علي الجام،(القاهرة/١٩٤٧)،ص١٥٢؛بروكلمان:كارل،تاريخ الشعوب الأسلامية ،ترجمة:نبيه أحمد فارس وأخرون(بيروت/١٩٦٥)،ص١٦٨.

٣ -أبن الكردبوس:أبو مروان عبد الملك (كان حيا في أواخر القرن السادس الهجري)،تاريخ الأندلس،تحقيق:د.أحمد مختار العبادي(مطبعة مدريد/١٩٧١م)،ص٧٨.

٤ -القلقشندي:أحمد بن عبد الله (ت:٦٩٧هـ/١٢٩٧م)،صبح الاعشى في صناعة الانشا،(القاهرة/١٩٧٥م)ج٥،ص٢٤٨.

٥ -محمود:حسن أحمد،قيام دولة المرابطين،(القاهرة/١٩٧٥م)،ص٢٦٠.

كما ان هؤلاء الملوك كانوا في قرارات أنفسهم يتطلعون الى الخلافة،فقد كان كل واحد منهم يود أن يصل اليها،وأن تتجمع لديه الصفات النعنوية التي كان يتمتع بها الخلفاء[1]،لذا ان هذه الظاهرة يقصد بها وجود خليفة يتمتع ظاهريا بنوع من القوة والنفوذ وذالك أرضاء لعامة أهل الأندلس الذين لازالوا يذكرون الأوقات الطيبة عن الخلافة الأموية،هذا الى جانب المظاهر الروحية والدينية التي تحيط بالخليفة،فقد كان للخليفة وحده حق الأمامة والزعامة الدينية،لذالك لم يكن من السهل على أكثر ملوك الطوائف ان يحتلوا مكان الخليفة لأنهم كانوا مجرد حكام صغار لا ينحدرون من سلالات معروفة تتناسب مع وقار الخليفة[2]

كما أثرت الأوضاع السياسية المضطربة للاندلس على أحوال المجتمع الأندلسي،فقد أنعدمة ثقة أهل الأندلس بملوك الطوائف ،كما حقد العامة على البربر ،الذين لعبوا دورا كبيرا في بداية الفتنة،حتى أصبح من كان بينه وبين أحد عداء،أتهمه بانه بربري فيقتل على الفور[3].

ومما يذكر من التناقضات في سلوك أهل الأندلس في هذا العصر ،تمسكهم بالأسبان الذين جاءوا لمساعدة المهدي ضد البربر ،ولما رجع الأسبان الى بلادهم،حزنت العامة حزنا شديدا حتى انهم تبادلو في ما بينهم عبارات العزاء،جزعا وخوفا من عودة البربر بعدهم[4].

أن هذا الحزن على رحيل الجند الاسبان،يتناقض مع روح الجهاد التي شنها أهل الأندلس ضد الأسبان،وما زاد هذا التناقض أستعانة الخلفاء بالاسبان وتنازلهم عن مدن وحصون كانت منيعة،فأتكد الناس من أختفاء عاطفة الغيرة على الدين عند هؤلاء الخلفاء،الذين لم يهتموا ألا بعروش مهزوزة،وبسبب هذا أستخفت الناس بالدين ولم يعودوا يهتمون به[5]،ولعل مجالس الهو والطرب التي حفل بها عصر ملوك

---

[1] -أبن بشكوال :أبو القاسم خلف ابن عبد الملك (٤٩٤هـ/١١٠١م)،كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس،تحقيق:د.صلاح الدين،المكتبة العصرية،ط١،(بيروت/٢٠٠٣م)،ص٢٦٩.

[2] -أبن بشكوال:المصدر السابق،ص٢٧١،

[3] -أبن عذارى:البيان المغرب ،ج٣،ص٩٣.

[4] -أبن عذاري :البيان المغرب،ج٣،ص٩٧-٩٨.

[5] -أبن عذاري:البيان المغرب،ج٣،ص٩٨.

الطوائف أكبر دليل على ذالك،حيث وصف هذا العصر،بانه عصر:"...كان للمجون فيه سلطان عظيم على النفوس..."[١] .

ومن جانب أخر،أنغمس الفقهاء في الفتنة أيضا،وركض البعض منهم وراء،مغريات الدنيا،وترك واجبه الرئيسي،وهو الدعوة الى لم الشمل والدفاع عن حق الشعب ضد طغيان الحكم،فافتن الناس،ودخلوا فيها دخل فية غيرهم من الفتن،ورضوا بانقسام الدولة الى دويلات صغيرة متطاحنة[٢]،وأنعكس هذا الأمر،كما نفى وشرد البعض الأخر[٣].

وصف سجون الأندلس وأشهر نماذجها:

كانت السجون في عصر النبوة في المسجد والبيوت والخيام[٤]وظل الأمر كذلك في عصر الخليفة أبي بكر الصديق (رض) وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) استمر بالسجن في أول عهد بحسب المتبع في زمن الرسول (ص) وأبي بكر الصديق (رض) ثم اشترى دارا واتخذها سجنا دائما [٥] وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان (رض) بقي شكل السجن كما كان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وفي عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) تطورت أشكال السجن فقام ببناء سجن من القصب أسماه نافعا ولكن حين هرب السجناء منه بنى سجنا آخر من طين وحجر أسماه مخيسا [٦].

---

١ -ضيف:أحمد ،بلاغة العرب في الأندلس،(القاهرة /١٩٢٤م)،ص٤٣.

٢ -أبن عذارى:البيان المغرب،ج٣،ص٦٣.

٣ -أبن بشكوال:الصلة،ص٢٥٣.

٤- القرطبي : عبد الله بن محمد بن الفرج (ت ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م) ، اقضية رسول الله (ص) ، تحقيق محمد نزار وهيثم نزار ، شركة الارقم بن الارقم ، (بييروت / ١٩٩٧ م) ، ص ١٣٢ ؛المقريزي : احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١م) ، الواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف (بالخطط المقريزية) ، دار صادر (بيروت / د.ت) ، ج ٢ ، ص ١٨٧ .

٥ - البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) فتوح البلدان ، اشراف لجنة تحقيق التراث ، منشورات مكتبة الهلال (بيروت / ١٩٨٣) ص ٤٧ – ٤٨ ؛ الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، (دار المعارف / ١٩٧٩ م) ، ج ٣ ، ص ٤٣٤ .

٦- ابن ابي شيبة : ابو بكر عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥ هـ / ٩٤٦ م) ، المصنف، تحقيق عبد الخالق الفقاني ، دار العلوم الاسلامية ، (كراتشي / ١٩٨٦) ، ج ١٤ ، ص ١٣٨ ؛ابن

وبعد التطور الذي حصل في المجتمع العربي والإسلامي واتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية وانضمام فئات من أماكن شتى ومن شعوب مختلفة نتيجة حركة التحرير والفتوحات العربية الإسلامية، وما آلت إليه هذه الفتوح من قيام دولة وإمارات مستقلة في الأندلس عن مركز الدولة العربية الإسلامية في المشرق حيث ازدادت الخصوم وتعددت المشاكل والأحداث دعت الحاجة إلى تطور أصناف السجون وأشكالها وتعدد أدارتها وبنائها حيث عين مشرفون على السجن وحرس لحراسة المسجونين [١]، وأصبح بناء السجن متكاملا متكونا من عدد من البيوت المسقفة [٢]، والمبنية من الحجر والطين [٣]، وقد يكون بعضها مبنيا من الرخام [٤]، وأبواب محكمة من الحديد والصفائح والخشب ويغلق من الداخل والخارج بالأقفال، الامر الذي ادى ببعض المسجونين الى وصف السجون، فهذا ابن شهيد الاندلسي*

عابدين : محمد امين بن عامر (ت ١٢٥٢ هـ / ١٨٤٢ م) ، رد المحتار على دار المختار المشهور بحاشيته ابن عابدين (القاهرة / ١٩٦٦) ، ج ٥ ، ص ٣٧٧ .

[١]- المقري : احمد بن محمد ، (ت ١٠٤١ هـ / ١٦١٣ م)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ط ١ ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، (القاهرة / ١٩٤١) ، ج ٧ ،ص ٤١ .

[٢]- المقري : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٦ .

[٣]- الضبي : ابي جعفر احمد بن يحيى بن عمير ، (ت ٥٩٩ هـ / ١١٠٣ م)،بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، تحقيق :د.صلاح الدين الهواري ، ط١ ، (بيروت / ٢٠٠٥)ج ١ [٣]- المقري : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٦ .

[٣]- الضبي : ابي جعفر احمد بن يحيى بن عمير ، (ت ٥٩٩ هـ / ١١٠٣ م)،بغية الملتمس ، ص ١٦٠ .

[٤]- ابن الابار : محمد بن عبد الله (ت٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م)، الحلة السيراء ، تحقيق : حسين مؤنس ، ط ١ ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، (القاهرة / ١٩٦٣) ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

* وهو ابو عامر احمد بن ابي مروان عبد الملك بن احمد بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد الاندلسي اشجعي النسب ، وكان من اعلم اهل الاندلس بالادب والشعر والبلا غة ، ولد سنة (٣٨٢ هـ /٩٩٧م) في قرطبة وتوفي ضحى الجمعة اخر يوم جمادي الاولى سنة (٤٢٦ هـ/١٠٣١م) بقرطبة ، سجنه المعتلى يحيى بن حمود في حكمه بقرطبة. ينظر ، الحميدي: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس، ج ١ ص ٢٠٩ ؛ ابن خاقان: ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي ، مطمع الانفس ومسرح التأنس ،تحقيق:محمد علي ،ط١ ،(عمان /١٩٨٣م)،ص ١٨٩ .

يكتب قصيدته التي وصف فيها السجن ومشاعره تجاه الخوف من الموت الذي يأتي إليه كلما رن قفل واهتز باب فكان رائعا ودقيقا في وصفه هذ اذ يقول:[١]

فمن مبلغ الفتيان أني بعدهم	مقيم بدار الظالمين طريدُ
مقيم بدار ساكنوها من الأذى	قيام على جمر الحمام قعودُ
ويسمع للسجان في جنباتها	بسيط كترجيع الصدى ونشيدُ
وما اهتز باب السجن إلا تفطرت	قلوب لنا خوف الردى وكبودُ

ويظهر لنا أن تلك الأبواب كانت محكمة وان أسوار السجن عالية لا يمكن للسجين أن يهرب منها، ومن ذلك ما كان في وصف ابن عمار* لسجنه الذي كان في قلعة شقورة، اذ يقول:

بمعارج أدت إلى جرد	حتى من الأنواء والقطرِ
عال كأن الجن إذ مردت	جعلته مرقاة إلى النسرِ
حتى تناكرت الوجوه به	حتى استربت صفحة البدرِ

١- ابن شهيد الاندلسي : ابو عامر احمد بن عبد الملك بن احمد بن عبد الملك (ت ٤٢٦ هـ/١٠٣٤م) ديوان ابن شهيد الاندلسي ،عنى بجمعه : جارس بلات ،دار المكشوف اللبناني ، (بيروت / ١٩٦٣ م) ، ص ١٠٠ .

* وهو ابو بكر محمد بن عمار المهري الشلبي ولد سنة (٤٧٧هـ/١٠٨٤م) في قرية من نواحي شلب في بالاندلس من عائلة فقيرة ، وكان من الشعراء الكبار المشهورين في الاندلس ، فقد صحبه المعتمد بن عباد منذ صباه لكن سرعان ما نفاه المعتضد خوفا على ولده المعتمد منه فقصد سرقسطة ثم عاد الى اشبيلية بعد وفاة المعتضد وصار وزيرا ثم سجنه المعتمد بسبب غدر ابن عمار له ومن ثم قام بقتله سنة (٤٧٧ه/١٠٨٤م) ، ينظر ،ابن خاقان: ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي (ت ٥٢٩ هـ ./ ١٩٨٣ م)قلائد العقيان ومحاسن الاعيان (حققه وعلق عليه : د. حسين يوسف ، مكتبة المنار للطباعة ن ط ١ ، ١٩٨٩ م) ، ج ١ ، ص ٢٥٣ ؛ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

ويتضح من قصيدته أن أرضية السجن الذي كان فيه غير مرتبة وجرداء و السجن لا انارة فيه وان أسواره عالية يصفها كأنها مرقاة للنسور لأنها لا تحط إلا على أماكن عالية.

وكان قسم من السجون تابع لقصور الملوك والأمراء في الأندلس ، وتكون في جناح خاص من القصر ، ويكون هذا السجن قريبا جدا من الملوك والأمراء ليشرفوا على من فيه وتعد هذه السجون مظهرا بارزا في الأندلس فقد اتخذ ملوك الطوائف غرفا خاصة تابعة لقصورهم سجنا لخصومهم ، من الوزراء وأبناء الملوك اتباعهم أيضا ، فنجد ابن عمار بعد اذ اشتراه المعتمد بن عباد من رجل يدعى ابن مبارك بعث المعتمد ولده الراضي إلى شقورة واتى به وهو مصفد بالا غلال والقيود[١] ، إلى سجن اشبيلية وجعله في غرفة على باب قصر المعتمد بن عباد يحضره في كل ليلة وهو مكبل بالقيود .

ويبدو ان ادراة مثل هذه السجون تعود إلى الملوك أنفسهم خشية من خطرهم أو هربهم لما كان عليه الشخص المسجون من نفوذ وأهمية ، ويلاحظ ان هذا الشكل من السجون لم يكن على حصانة معمارية تامة ، بل يتم التركيز_ عوضا عن ذلك_ على جانب الحراسة لان القصر وما يحيط به على حراسة تامة ومشددة .

كذلك كانت السجون داخل المدينة قرب دار الامارة[٢] كسجن المرية* ،فيها سجن كبير حبس فيه ماعرف بابن صمادح الشاعرهذا السجن باسم المطبق في المرية يقع بالجزء الجنوبي من المدينة ويتألف من ثلاثة أروقة، وعقوده من الآجر بالطرف الشرقي من السور الفاصل للأطلال، والسجن ظل يعمل حتى أوائل القرن الثامن الهجري[٣]، وسجن ميورقة الذي كان فيه ابن عبد العزيزسجينا* حيث يصف

---

[١]- ابن الابار : الحلة السيراء ، ج٢ ، ص ١٥٨ .

[٢]- ابن عدارى :البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج٢ ، ص ٧٥ ؛ عنان : محمد بن عبد الله ، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي مطبعة المدني مكتبة الخانجي ، ط ٣ ، (القاهرة – ١٩٩٨ م) ، ص ١١٥ .

* المرية : مدينة من مدن الاندلس بينها وبين غرناطة مائة ميل . ينظر، ياقوت الحموي ، ابو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) ، معجم البلدان ، بيروت لا.ت ، ج٣ ، ص ٣٣٩ .

[٣]- ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

السجن ابن الآبار قائلا: "سجن في بيت مظلم مطبق كان لا يعرف فيه النهار من الليل ويترك أوقاتا من دون غذاء ولا ماء وأقام مسجونا نحو عشرة أعوام وقيل اثني عشر عاما" (١). وعادة يسجن في هذه السجون من كانت مدة سجنهم طويلة لان الحراسة فيها تكون اشد والخوف من كسرها والهجوم عليها لإطلاق سراح المسجونين أصعب، وقد تكون مثل هذه السجون بعيدة عن مركز المدينة، ربما لحصانتها أو لسهولة التخلص من الأعداء والثوار والخارجين عن طاعة الدولة بوساطتها وكذلك الذين يهددون وجود السلطة القائمة.

ويعد سجن مطرينش*، من امنع سجون بلنسية وأكبرها الذي سجن فيه الرحالة ابن جبير الاندلسي، ويوجد سجن في شاطبة، وسجن الملثمة في بطليموس، الذي سجن فيه نجم الدولة سعد بن المتوكل (٢)، وسجن كبير في لشبونة (٣)، وكثيرا ما سميت السجون باسم البلد أو الموضع المقام فيه، كسجن قرطبة وسجن مرسبة وسجن اشبيلية وغيرها (٤).

أسباب السجن ودوافعه:

نتيجة للإحداث التي مرت بها الأندلس في عهد ملوك الطوائف، اشتدت الصراعات على السلطة وازدادت أعداد الخصوم، وتعددت المشاكل بين تلك الدول، فتحول السجن من عقوبة مشروعة استمدت من القران الكريم والسنة النبوية واجماع فقهاء المسلمين إلى وسيلة في أيدي السلطة لمعاقبة مناوئيها لأسباب مختلفة فقد يسجن الشخص بسبب انتمائه لهذه الفئة أو لتلك أو لخروجه عن طاعة الدولة

** وهو مروان بن عبد الملك بن مروان بن عبد العزيز ابو عبد الملك، صار واليا على شاطبة بعد إذ هرب واليها عبد الله فدخلها في زي الجند وجددت له البيعة سنة (٤٤٠ هـ/١٠٩١ م)، ينظر ابن الابار: الحلة السيراء، ج ٢، ص ٢١٨ – ٢٢٠.

[١]- الحلة السيراء، ج ٢، ص ٢٢٥.

* مطرينش: وهو احد حصون بلنسية، في ارض مرتفعة كثيرة الحصون وحين استعاد المرابطون بلنسية عاد مطرينش للسلام، ينظر، ابن الابار: الحلة السيراء، ج ٢ ص ٢٢٤.

[٢]- ابن الابار: الحلة السيراء، ج ٢، ص ١٠٣ – ١٠٤.

[٣] ابن الابار: المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٣.

[٤]- ابن بشكوال: كتاب الصلة في تاريخ علماء الاندلس، ص ٦٤؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج٣، ص ١٠٣ – ٢٢٤ – ٢٢٥.

وأخرى بسبب وشايه من شخص يحاول أن يقترب من السلطان، والأسباب كل الأتي:

أولا السجن بسبب السياسة:

طال السجن كل من عارض السلطة أو من يعمل في مؤسساتها، من وزراء وقضاة وكتاب وأصحاب دواوين، أو ممن لا يعمل في مؤسسات الدولة، فالحاكم لا يتوانى في زج كل من يظهر منه ما يهدد سلطانه من بعيد أو من قريب وهذا يعكس طبيعة الوضع السياسي الذي كان في عهد الملوك والطوائف و الذي أدى فيما بعد إلى تدخل المرابطين وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من بلاد الأندلس الإسلامية.

ويمكن القول أن سجن الوزير أبي بكر بن عمار في سجن اشبيلية [١] ، هو طموحه بان يكون ندا للسلطان، فبعد أن قويت الصلة بين المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية ووزيره أبي بكر اخذ الثاني يعمل لمصلحته الخاصة والاستغناء عن سيده حيث وجد في نفسه القوة على العمل السياسي لحسابه [٢]، فلما أرسله المعتمد إلى صوب مرسية سنة (٤٧٤ هـ / ١١٢٥ م) ليأخذها ويضمها إلى مملكته تمكن ابن عمار من أخذها إلا أن طموحه وسوس له فأخذها له وخرج عن طاعة سيده [٣] .

ولم يكتف بهذا بل اخذ يندد بملكه وأميره المعتمد بن عباد فهجاه اشد هجاء ولم يسلم من هذا الهجاء حتى اعتماد الرميكية زوج المعتمد بن عباد وطعن فيها بقوله [٤]:

تخيرتها من بنات الهجين   رميكية ما تساوي عقالا
فجاءت بكل قصير العذار   لئيم النجارين عما وخالا

١- ابن بسام : ابو الحسن علي (ت ٥٤٢ هـ / ١١٩٣ م)،الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق : لطفي عبد البديع ، (القاهرة / ١٩٧٥) ج ٢ ، ص ٢٨٣ – ٢٨٤ ، ابن خاقان : قلائد العيان ، ص ٩٩ ؛ ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٥٠ – ١٥٨ .
٢- ابن بسام : الذخيرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .
٣- ابن بسام : الذخيرة ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .
٤- د.صلاح خالص : محمد بن عمار الاندلسي دراسة ادبية تاريخية ، مطبعة الهدى ، (بغداد / ١٩٥٧) ، ص ١٢٨ .

وبعد سنتين من حكمه لمدينة مرسية خرج ابن عمار سنة (٤٧٦ هـ / ١١٢٧ م) إلى طليطلة وجعل نائبه ابن رشيق على حكم مرسية مكانه مؤقتا إلا أن ابن رشق خرج عن طاعة ابن عمار فأغلق أبواب مرسية وحصنها أحسن تحصين فعجر ابن عمار عن الدخول إليها وهرب إلى بني هود في سرقسطة وأقام عندهم حتى ثقل عليهم فخافوا خيانته لأنه غدر بملكه المعتمد بن عباد فأخرجوه من بلادهم [١].

وبقي متجولا بين البلدان وملوكها يبغضونه إلى أن وقع في حصن من حصون الأندلس يدعى حصن شقورة وقبض عليه رجل يدعى ابن مبارك فقيده وجعله في سجنه وأعلن عن بيعه لمن يدفع فيه الثمن الغالي [٢]. ولم يكن من بين أمراء الطوائف من ينافس المعتمد بن عباد في هذا فتمكن من الحصول عليه مقابل الكثير من الأموال وحين اشتراه بعث المعتمد ولده الراضي إلى شقورة واتى به وهو مصفد بالأغلال والقيود [٣].

ولما أتى به الرضي من شقورة إلى اشبيلية جعله المعتمد في غرفة على باب قصره وسجنه فيها وكان المعتمد بن عباد يحضره في كل ليلة وهو مكبل في قيوده، مذكرا إياه بخيانته وسوء سياسته التي أدت به إلى طمعه في السلطة، الأمر الذي كان يؤجج دواعي الغضب والحقد في قلب المعتمد عليه [٤].

وللأسباب نفسها فكان التنافس على السلطة قد أشتد بين عبد الملك وأخيه عبد الرحمن أبناء ابي الحزم بن جهور صاحب قرطبة [٥]، فكان كل واحد منهم يدعي بانه هو الأحق بالولاية من أخيه فوقع التنافس بين الأخوين، واخذ كل منهما يستميل طائفة من الجند، ويؤلف الأحزاب لمناصرته فوقع عبد الرحمن في قبضة أخيه عبد الملك وأودعه السجن، وكان هذا السجن غرفة من غرف قصره [٦] ، لان الكثير من الذين يسجنون في القصور يكونون على أهمية كبيرة، فيكون ذلك للإشراف عليهم

---

[١]- ابن بسام : الذخيرة ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .
[٢]- ابن بسام : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .
[٣]- ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٩٩ ؛ ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .
[٤]- ابن الابار : الحلة السيراء ، ج٢ ، ص ١٥٨ .
[٥]- عنان : محمد بن عبد الله ، دول الطوائف ، ط ١ ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة / ١٩٦٠) ، ص ٢٦ .
[٦]- عنان: المصدر نفسه ، ص ٢٦ .

بصورة مباشرة وخوفا من هروب احدهم لان القصور عادة ما تكون على درجة عالية من الحراسة.

كذلك نجد أن سجن ابن الصائغ السرقسطي* كان نتيجة لعمله السياسي، فقد كان وزيرا لدى الأمير أبي بكر ابن إبراهيم صاحب سرقسطة وعمل في وزارته(١) ، فكان ما أبداه في وزارته من أعمال وتنكيل برجال الدولة و أعيانها السبب في ضياع المدينة واستيلاء نصارى الأسبان عليها وخرجت من يد الإسلام(٢) .

فلما سقطت سرقسطة وتشرد أهلها ارتاب ابن الصائغ من سوء سياسته وخاف من ذنبه الذي ارتكبه بحق أهل المدينة ففكر بالهروب إلى المغرب فلما وصل إلى شاطبة* ، وكان عليها الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين قبض عليه هناك وقيده وادخله السجن(٣) وفي الحقيقة يوجد الكثير من الشخصيات التي أودعت السجون بسبب السياسة لكن لا مجال لذكرها فاكتفينا بهذه الشخصيات لذا نستنتج منها أن اغلب السجناء السياسيين كانوا ذوا مناصب رفيعة في الحكم وان محنهم في السجون كانت كبيرة ما أدت إلى هلاك الكثير منهم في معتقلاتهم.

ثانيا: السجن بسبب السعاية:-

السعاية هي الوسيلة التي يتوسل بها كثير من الأشخاص نكاية بمن معهم خوفا من منافسة أو راد على إساءة أو طمعا في مغنمة(٤) ، والسعاية لا تتوقف على إلحاق تهمة معينة فقط ، بل رمي المتهم بالتقصير أو بتبذير الأموال أو بتجاوز على

---

* هو ابو بكر محمد بن باجة التجيني الاندلسي السرقسطي . ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٩٢ .

١ - ابن عذارى : البيان المغرب ،ح٢،ص٢٥٠.

٢ - ابن عذارى : البيان المغرب ،ح٢،ص٢٥١.

* هي مدينة في الاندلس ، وهي من اعمال بلنسية على بعد ٥٠ كم الى الجنوب الغربي منها وقد اشتهرت بالعصر الاسلامي بصناعة الورق . ينظر ، ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ، ص ٩٦ .

٣ - ابن خاقان : قلائد العقيان ، ج ٤ ، ص ٩٤ .

٤ - حسام محمد بلبول : نشاة السجون وتطورها في بلاد المغرب العربي ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ،(سنة/٢٠٠٥)، ص ٩٩ .

حدود الوظيفة[١] ، والسعاية سببها الحسد التي نمت في تربية بذور الدسائس والشغب ، وقد تفشت هذه الظاهرة في بلاد الأندلس في عهد ملوك الطوائف نتيجة التنافس على احتلال منزلة ومكانة لدى الأمراء والملوك، وغالبا ما أدت تلك السعايات بالمسعى به إلى الحبس والتعذيب والمصادرة .

لقد سعى الأشخاص لدى أولي الأمر فتعرض الكثير من الأشخاص إلى السجن والتعذيب وقد أفضت السعاية بابن شهيد الاندلسي إلى السجن ، فيروي ابن الآبار هذه الحادثة قائلا:" سُعي به إلى المعتلي يحيى بن حمود في خلافته في قرطبة فنكل به واعتقله "[٢] . ويبدو أن أعداءه اتخذوا ماشتهر به من الفجور والفسق سببا لوشايتهم عند المعتلى بن حمود الذي ألقاه في السجن[٣].

كما كانت السعاية سببا في سجن ابن زيدون*، إذ يروى انه حدث عداء شديد بينه وبين الوزير ابن عبدوس جعل الثاني يسعى لمنافسة ابن زيدون لدى ابن حزم بن جهور[٤] احد ملوك الطوائف وساعده في ذلك عبد الله بن احمد المكوى احد حكام قرطبة فاتهموا ابن زيدون بالخيانة وزعموا انه يحاول القيام بثورة على ابن حزم بن جهور فتم اعتقاله وقدم إلى المحكمة وكان قاضيها آنذاك عبد الله بن احمد المكوى وحين عرضت قضية ابن زيدون عليه أمر بسجنه على الفور[٥] وظل ابن زيدون في ظلمات السجن عاما وبعض عام، وهو يستعطف ابن حزم بقصائد ورسائل تذيب الجماد دون أن يتأثر بها، وفي النهاية حزم أمره على الفرار ففر من سجنه وقصد اشبيلية سنة (٤٤١هـ / ١٠٩٢ م)والتجأ إلى أميرها المعتضد بن عباد فولاه وزارته وألقى إليه مقاليد الأمور[٦].

---

١ - الخشني : محمد بن حارث بن اسد (ت ٣٦١ هـ / ٩٧٠ م) ، قضاة قرطبة وعلماء افريقية ، ج ٢ ، ص ٢١٣ .
٢ - الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٨٤ .
٣ - ابن الابار : الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ٨٥ .
* هو ابو الوليد احمد بن عبد الله بن غالب المخزومي الاندلسي ، الكاتب الشاعر ، ولد في قرطبة سنة (٣٩٤ هـ/١٠٠٣م) . ينظر ، الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٣١ ؛ ابن سعيد : علي بن موسى المغربي (ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦م) ، المغرب في حلل المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، ط ١ ، دار المعارف ، (القاهرة/١٩٦٤)،ج١،ص٦٣.
٤ - ابن سعيد : المغرب في حلل المغرب ، ج ١ ، ص ٦٣ .
٥ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٣ .
٦ -عنان: دول الطوائف ، ص ٢٥ .

ثالثا: السجن بسبب الأسر:

إن الصراعات السياسية والاجتماعية التي حلت بالأندلس في عصر ملوك الطوائف كانت نتيجتها وقوع عدد غفير من الأشخاص في الأسر، فكان الأسير يوضع في السجن لفترة من الزمن لحين وصول الفدية من أهل الأسير، أو يوضع في السجن حتى يلقى حتفه. أما طريقة معاملة الأسرى داخل السجون فقد كانت تختلف بين أسير وآخر، ومن هؤلاء الذين وقعوا في الأسر نذكر، أبو بكر بن سوار الاشبوني، وهو من الوزراء والشعراء المشهورين في الأندلس ذكره ابن بسام قائلا:" فلما خلع ملوك الأندلس وحالت به الحال وتقسمته الديار والإقبال أسره العدو بعقب محنة بين أطباق فتنة وقيد بقوربا من عمل الطاغية فرذلند ثم خرج من وثاقه "[١].

كذلك كانت نتيجة الصراعات السياسية المريرة بين ملوك الطوائف وقوع عدد منهم في سجن بعضهم البعض ففي سنة (٤٤٥ هـ / ١٠٥٥ م) دبر المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية كمينا لبعض ملوك الامارات البربرية الواقعة جنوبي الأندلس فدعاهم إلى زيارته باشبيلية فلبى دعوة ثلاثة من هؤلاء الملوك هم أبو نور بن أبي قرة صاحب رندة، ومحمد بن نوح الدمري صاحب مورور، وعبدون بن خزرون صاحب اركش، فقد ساروا إلى اشبيلية في أحسن زي وأفخم مظهر ومعهم نحو مائتي فارس من رؤساء قبائلهم[٢] ، فاستقبلهم المعتضد أحسن استقبال ، وانزل الأمراء بقصر من قصوره ، وفي اليوم الثالث استدعاهم إلى مجلسه واخذ يؤانبهم على تقصيرهم في محاربة أعدائه ولما هموا بالرد أمر بالقبض عليهم ، وتكبيلهم بالأغلال ووضعهم في السجن فرادا ، وبعد مدة من أسرهم أمر بإدخالهم في حمام وبنى منافذه واشعل النار فيه حتى ماتوا[٣].

أما عن مصير أبي الوليد بن جهور صاحب قرطبة ، فقد يذكر انه أسر هو وسائر أهله وأرسلوا إلى سجن اشبيلية ، ثم نقلوا إلى سجن جزيرة شلطيش ، الواقعة في مصب نهر اراد تجاه ولبة ، وهناك توفي ابن جهور بعد اربعين يوما من سجنه

[١] -الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ج٢ ، ص ٨١١ .
[٢] -عنان: دول الطوائف ، ص ٤٥ .
[٣]- عنان : المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

وسقوط دولته [1]، كما وقع المعتمد بن عباد ملك اشبيلية أسيرا بيد أمير المرابطين يوسف بن تاشفين وجهز جيشا بقيادة سير بن بكر اللمتوني حاصر المعتمد في قصره باشبيلية الذي قاوم اشد مقاومة حتى هجموا عليه هو وأهله فقيدوه ونقلوه أسيرا إلى اغمات سنة (٤٨٤ هـ / ١١١٠ م) [2] .

في الحقيقة إن الأسير عندما يقع في أسره يسجن ولا توجد مدة زمنية محددة لخروجه من السجن، فربما تطول أو تقصر ، كما تستخدم في حبوسهم أنواع من القيود والأغلال ،وهي تحدد خطورة المسجونين واهميتهم ، فتزيد هذه القيود لزيادة اهمية السجين وربما كان ذلك لهروب عدد من السجناء بشتى السبل المؤدية للهرب.

[1] - عنان : المصدر نفسه ، ص ٤٥ .
[2] - ابن خاقان : قلائد العقيان ، ج ١ ، ص ٨٩ .

الخاتمة :

من خلال دراسة موضوع السجون في بلاد الاندلس عبر حقبة من الزمن ، تبين ان عقوبة السجن عقوبة استخدمها معظم ملوك الطوائف ، كوسيلة للتخلص من خصومهم فاهتموا بها ووضعوا الحرس لحراستها .

كما تبين أن هناك تنوعا في مواقع سجون الاندلس فمنها ما يكون داخل قصور الملوك والامراء ، ومنها مايكون داخل المدن اوعلى اطرافها ، وهناك سجون خارج المدن ، وكان هذا التنوع في مواقع السجون قائم على اساس تنوع فئات الاشخاص داخل هذه السجون ، وكذلك يتوقف على اهمية وخطورة كل سجين .

كذلك كانت لعقوبة السجن اسباب ودواع ، فقد يسجن الكثير من الاشخاص لاسباب متعددة ، فكانت اما بسبب السياسة او السعاية او الاسر ، وكانت معاملة السجناء تتفاوت حسب الجرم وحسب الظروف ، فقد كانت المعاملة تتزداد سوءا في فترات الاضطرابات السياسية .

المصـــادر :

-ابن ابي شيبة : ابو يكر عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥ هـ / ٩٤٦ م) .
١-المصنف ، تحقيق ، عبد الخالق الفقاني ، دار العلوم الاسلامية ، كراتشي / ١٩٨٦ .
-ابن الابار : محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) .
٢-الحلة السيراء ، تحقيق : حسين مؤنس ، ط١ ، الشركة العربية للطباعة والنشر (القاهرة ١٩٦٣) .
-ابن الكردبوس : ابو مروان عبد الملك (كان حي في اواخر القرن السادس الهجري) .
٣-تاريخ الاندلس ، تحقيق ، د.احمد مختار العبادي (مطبعة مدريد / ١٩٧١ م) .
-ابن بسام : ابو الحسن علي (ت ٥٤٢ هـ / ١١٩٣ م) .
٤-الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق ، لطفي عبد البديع (القاهرة ١٩٧٥) .
-ابن بشكوال : ابو القاسم خلف بن عبد الملك (٤٩٤هـ / ١١٠١ م) .
٥-كتاب الصلة في تاريخ علماء الاندلس- وهو ذيل لكتاب تاريخ ابن الفرضي – تحيقيق : د.صلاح الدين ، المكتبة العصرية ، ط ١ (بيروت / ٢٠٠٣) .
-ابن خاقان : ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي (ت ٥٢٩ هـ . / ١٩٨٣ م) .
٦-مطمع الانفس ومسرح التانس في ملح اهل الاندلس ، تحقيق ، محمد علي ، ط١ ، (عمان / ١٩٨٣) .
٧-قلائد العقيان ومحاسن الاعيان ، ط ١ ، تحقيق ، د. احسان يوسف ، مكتبة المنار للطباعة ، ١٩٨٩ .
-ابن سعيد : علي بن مسلم المغربي (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٩٤ م) .

٨-المغرب في حلل المغرب ، تحقيق : شوقي ضيف ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤ م .
-ابن شهيد الاندلسي : ابو عامر احمد بن عبد الملك بن احمد بن عبد الملك (ت ٤٢٦ هـ / ١٠٧٧م) .
٩-ديوان ابن شهيد الاندلسي ، تحقيق ، جاس بلات ، دار المكشوف اللبناني ، (بيروت / ١٩٦٣) .
-ابن عابدين : محمد امين بن عامر (ت ١٢٥٢ هـ / ١٨٤٢ م) .
١٠-رد المحتار على در المختار المشهور بحاشية ابن عابدين ،(القاهرة / ١٩٦٦م)
-ابن عذارى : ابو عبد الله محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) .
١١-البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، مطبعة المناهل ، دار صادر (بيروت / ١٩٥٠) .
-البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) .
١٢-فتوح البلدان : اشراف لجنة تحقيق التراث ، منشورات مكتبة الهلال ، (يروت / ١٩٨٣) .
-الحميدي : ابو محمد عبد الله بن محمد (٤٨٨ هـ . / ١٠٩٥ م) .
١٣-جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس ، تحقيق ، ابراهيم الايبياري ، (القاهرة / ١٩٧٥) .
-الخشني : محمد بن حارث بن اسد (ت ٣٦١ هـ / ٩٧٠ م) .
١٤-قضاة قرطبة وعلماء افريقية ، تحقيق ، السيد عزت العطار الحسيني ، ١٩٥٢ م) .
-الضبي:ابي جعفر احمد بن يحيى بن عمير ، (ت ٥٩٩ هـ / ١١٠٣ م) .
١٥-بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس – ذيل لكتاب جذوة المقتبس للحميدي- ، ط ١ تحقيق : د. صلاح الدين ، المكتبة العصرية (بيروت ٢٠٠٥) .
-الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) .

١٦-تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، (دار المعارف / ١٩٧٩ م) .

-القرطبي : عبد الله بن محمد بن الفرج ، (ت ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م).

١٧-اقضية رسول الله (ص) ، تحقيق : محمد نزار وهيثم نزار ، شركة الارقم ابن الارقم (بيروت / ١٩٩٧) .

-القلقشندي:أحمد بن عبد الله (ت:٦٩٧هـ/١٢٩٧م)

١٨-صبح الاعشى في صناعة الانشا،(القاهرة/١٩٧٥م)

-المقريزي احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) .

١٩-الواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروفة بـ (الخط المقريزية) ، دار صادر (بيروت / د . ت) .

-المقريزي: احمد بن محمد (١٠٤١هـ/ ١٦١٣م).

٢٠-نفح الطيب من خصن الاندلس الرطيب ،ط١،تحقيق:محي الدين عبد المجيد م،طبعة السعادة ،(القاهرة/١٩٤١م).

-ياقوت الحموي : ابو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) .

٢١-معجم البلدان ، (بيروت / د . ت) .

المراجع :

- بروكلمان:كارل.

٢٢- تاريخ الشعوب الأسلامية ،ترجمة:نبيه أحمد فارس وأخرون(بيروت/١٩٦٥).

-د. صلاح خالص .

٢٣-محمد بن عمار الاندلسي - درساة ادبيية تاريخية – مطبعة الهدى ، (بغداد / ١٩٥٧ م) .

- ضيف:أحمد.

٢٤- بلاغة العرب في الأندلس،(القاهرة /١٩٢٤م)

-عنان : محمد بن عبد الله .
٢٥-دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، مطبعة المدني ، مكتبة الخانجي ، ط٣ ، القاهرة ١٩٩٨ .
- لين بول:ستانلي.
٢٦-قصة العرب في أسبانية ،ترجمة:علي الجام،(القاهرة/١٩٤٧
-محمود:حسن أحمد.
٢٧-قيام دولة المرابطين،(القاهرة/١٩٧٥م).

الرسائل الجامعية:

-حسام محمد بلبول الجناحي .
٢٨-نشأة السجون وتطورها في بلاد المغرب العربي حتى نهاية عصر المرابطين ٥٤١هـ ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، سنة ٢٠٠٥ .